قرآن متلو لانسانة ترقى

تلخيص

(الرسالة الشافيـــة في وجوه الإعجاز، والقول في الصرفـــة)

لعبد القاهر الجرجانى

تلخيص

(الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، والقول في الصرفة) للجرجاني

تعليق

أ.د. عبد السلام بن مقبل المجيدي

ضمن مجالس سماع كتاب

"ثلاث رسائل في إعجاز القرآن"

(الخطابي والرماني والجرجاني)

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الرسالة الشافية (ص: ١١٧):

«معلوم أن سبيل الكلام سبيل ما يدخله التفاضل، وأن للتفاضل فيه غايات ينأى بعضها عن بعض، ومنازل يعلو بعضها بعضًا، وأنَّ عِلْمَ ذلك علمٌ يخص أهله، وأن الأصل والقدوة فيه العرب، ومن عداهم تبع لهم، وقاصر فيه عنهم»

.

التعليق: هذه المسألة محل نظر كبير، لأن بعض أهل العلم أو، كثير منهم قرروا أن الحجة أن الإعجاز في القرآن إعجاز بلاغي، قلنا لهم إذا كنتم تعنون بالبلاغة ما تعلق باللغة العربية في ألفاظها، فكيف نصنع مع بقية العالم، والقرآن كما قال الله ﷻ: ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾؟ قالوا نعم، الحجة إذا قامت على العرب فهي حجة على بقية العالم، هكذا ذكروا.

في الحقيقة هذا يضعف، كما السيد محمد رشيد رضا -رحمه الله-: "يضعف من ظهور حجية القرآن أو إعجازه عند التفكر جيدا"، فلذلك أنا أميل عند الذي قرره، بل هذا يحتاج إلى زيادة فضل .

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

الرسالة الشافية (ص: ١١٨): «ونرى الجاحظ يدَّعي للعرب الفضل على الأمم كلها في الخطابة والبلاغة، ويناظر في ذلك الشعوبية، ويجهِّلهم ويسفِّه أحلامهم في إنكارهم ذلك، ويقضي عليهم بالشقوة وبالتهالك في العصبية، ويبطل ويطنب».
التعليق: الشعوبية؛ هي حركة بدأت في أواخر العصر الأموي ويراد بها الطعن، كانوا يريدون، يريد أصحابها الطعن الذي تولى كبرها الفرس ثم انتشرت عند آخرين، وما زالت مستمرة إلى الآن، ولكنها استعرت أيضا حتى في العرب.
الرسالة الشافية (ص: ١١٨): «ونحن أبقاك الله إذا ادعينا للعرب الفضل على الأمم كلها في أصناف البلاغة، من القصيد والأرجاز، ومن المنثور والأسجاع، ومن المزدوج وما لا يزدوج، فمعنا على أن ذلك لهم شاهد صادق، من الديباجة

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

الكريمة، والرونق العجيب، والسبك والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول مثل ذلك، إلا في اليسير والشيء القليل". انتهى كلامه»

التعليق: وأما إثارة المؤلف -رحمه الله تعالى- نقلا عن الجاحظ في فضل العربية، ففضل العربية لا يخفى ولا يُنكر، ولكن الادعاء الواسع بأن لها فضلًا على لغات العالم، هذا الادعاء يفتقر إلى الدليل الواقعي لمجموعة يعلمون مجموعة من اللغات العظيمة المعروفة مثلا في زماننا هذا فيقارنون بينها وبين العربية، أنا بهذا الكلام لا أعني أن العربية ليس لها فضل، حسبها فضلًا أن الله تعالى أنزل كتابه بها، هذا كاف، وإنما نريد أن ندلل على ذلك من الناحية الواقعية ليس من الناحية الاعتقادية، من الناحية الاعتقادية فرغنا من ذلك، نحن الآن نريد أن نبين للآخرين هذا، وأنا أذكر هنا أن شيخنا الشيخ أحمد بن على الإمام -رحمه الله تعالى- كان من علماء السودان العظام ومن أذكيائهم وعباقرهم ونبلائهم، لما كان طالبًا في بريطانيا يدرس هناك الماجستير والدكتوراه، درَّسهم واحد هولندي فيما يحدثني شيخنا عنه، يقال له كيري -إن لم تخني الذاكرة- وهو يعرف عشر لغات ومنها العربية، قال فسألناه: يا بروفيسور أي هذه اللغات أحب إليك؟ فقال: العربية، لقد ظننت أن من يتكلم بها ينبغي أن يكونوا ملائكة لا ينبغي أن يكونوا بشرًا . هكذا يقول.

لكنني أقول لكم هذا الشئ الذي ينبغي أن تسمعوه وهو أن الذي يتكلم في هذا لا يكفي فقط الاعتقاد عنده لأنه يريد الآن أن يقنع الآخرين، وإما أن يخاطب معتقدين مثلنا فقضي الأمر، وإما أن يخاطب أناسًا من غيرنا من غير المسلمين، وهو يريد أن يقنعهم بعظمة العربية فهنا لابد أن يقارن.

قد حاول الدكتور مصطفى محمود ومجموعة كبيرة من الباحثين بيان فضل العربية من الناحية الواقعية على جميع اللغات، وللدكتور مصطفى محمود حلقة شهيرة في هذا، وهناك دكتورة من الفضليات ألَّفت كتابًا ذكرت فيه أن أصل لغات العالم هي العربية.

مثل هذا هو الذي يُحتاج إليه، وليس فقط الاعتقاد، الاعتقاد ينفعنا نحن المؤمنين، نسأل الله تعالى أن يفتح لنا مخبئات كنوز كتابه.

الرسالة الشافية (ص: ١٢٠):

«وإذا كان هذا واجبًا بين نفسين لا يروم أحدهما من مباهاة صاحبه إلا ما يجري على الألسن من ذكره بالفضل فقط، فكيف يجوز أن يظهر في صميم العرب، وفي مثل قريش ذوى الأنفس الأبية والهمم العلية، والأنفة والحمية من يدَّعي النبوة، ويخبر أنه مبعوث من الله تعالى إلى الخلق كافة، وأنه بشير بالجنة ونذير بالنار، وأنه قد نُسخ به كل شريعة تقدمته، ودين دان به الناس شرقًا وغربًا، وأنه خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده، إلى سائر ما صدع به صلى الله عليه وسلم، ثم يقول: "وحجتي أن الله تعالى قد أنزل عليَّ كتابًا عربيًا مبينًا، تعرفون ألفاظه، وتفهومون معانيه، إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله، ولا بعشر سور منه، ولا

بسورة واحدة، ولو جهدتم جهدكم، واجتمع معكم الجن والإنس" ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضه، ويبينوا سرفه في دعواه، مع إمكان ذلك، ومع أنهم لم يسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قريب منه»

التعليق: هنا يمكن أن يذكر قصة الحريري -رحمه الله- فإنه لما ألف المقامات ادعى قوم أنها ليست له وحاججوه في ذلك، ورفعوا أصواتهم عليه حتى وصل الأمر إلى الهيئة الحاكمة، والأمير لما قربه إليه طلب شيئًا مما يشبه ما ادعاه فبقي حائرًا، ألقيت عليه الحيرة فلم يستطع أن يؤلف في ذلك المجلس ما كان قد ألفه من قبل، ثم فتح عليه بعد ذلك، فالمقصود هنا أنه أراد أن يقول إذا كان هذا في مسألة عادية، فكيف فيما فيه التحدي في الدنيا والآخرة، كانوا وقد سمعوا ذلك التحدي أحري بهم أن يجيبوا إليه لكنهم لم يفعلوا، نعم.

الرسالة الشافية (ص: ١٢١):

«وهل مثل هذا إلا مثل رجل عرض له خصم من حيث لم يحتسبه، فادعى عليه دعوى إن هي سمعت كان منها على خطر في ماله ونفسه، فأحضر بينة على دعواه تلك، وعند هذا المدعى عليه ما يبطل تلك البينة أو يعارضها، وما يحول على الجملة بينه وبين تنفيذ دعواه، فيدع إظهار ذلك والاحتجاج به، ويضرب عنه جملة، ويدعه وما يريد من إحكام أمره وإتمامه، ثم يصير الحال بينهما إلى المحاربة، وإلى الإخطار بالمهج والنفوس، فيطاوله الحرب، ويقتل فيها أولاده وأعزته، وتنهك عشيرته، ويغنم أمواله، ولا يقع له في

أثناء تلك الحال أن يرجع إلى القاضي الذي قضى لخصمه بديًا، ولا إلى القوم الذين سمعوا منه وتصوروه بصورة المحق فيقول: "لقد كانت عندي -حين ادعى ما ادعى- بينة على فساد دعواه وعلى كذب شهوده، قد تركتها تهاونًا بأمره، أو أنسيتها، أو منع مانع دون عرضها، وها هي هذه قد جئتكم بها، فانظروا فيها لتعلموا أنكم قد غررتم؟ ".

ومعلوم بالضرورة أن هذا الرجل لو كان من المجانين، لما صح أن يفعل ذلك، فكيف بقوم هم أرجح أهل زمانهم عقولًا، وأكملهم معرفة، وأجزلهم رأيًا، وأثقبهم بصيرة؟ فهذه دلالة "الأحوال».

التعليق: كل ما ذكره -رحمه الله- قد سبق أنا قرأنا شيئا يماثله في كلام الخطابي، ومن قبل قد قرره الجاحظ -رحمهم الله- كل له أسلوبه لكن المقصود أن وفرة الدواعي قائمة على أن يعارضوا القرآن، وهم لم يفعلوا، وهذا دليل سلبي في إثبات معجزة القرآن.

والمقصود بالدليل السلبي؛ يعني أنه ليس فيه الاثبات، ليس فيه إلا أنه أثبت أنهم عجزوا، يبقى الآن؛ ما وجه هذا العجز، هذا الذي هو يبحث عنه، ليس ما وجه العجز بالنسبة لأنهم لم يفعلوا، وإنما ما وجه العجز في أنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا، فقام بعض المعتزلة وقال بالصرفة، وقلنا بأن الصرفة هذه دليل ليس في محله، إذاً لا بد من بيان عظمة هذا الكلام حتى يستبين أنهم لا يستطيعون أنهم لا يأتو بمثله.

طبعا حاول الجرجاني، ولكن سيأتي كلامه، ولكن في دلائل الإعجاز حاول شيئًا بعيدًا جدًّا حتى زعم أنه لا يمكن إظهار إعجاز القرآن إلا بما أثبته هو، لعل الله أن يمن يوما ويقرأ ذلك الكتاب.

الرسالة الشافية (ص: ١٤٢):

«وكذلك إذا قالوا: "أمدح، أو أهجى"، فالمعنى أنه قد اهتدى في معاني الزين والشين وفي التحسين والتهجين إلى ما لم يهتد إليه نظراؤه، ولو كانوا في اللفظ والنظم يذهبون لكان محالًا أن يقولوا: "هو أنسب"، لأن ذلك في صفة اللفظ والنظم محال. ومن هذا الذي يشك أن لم يكن قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطون راح»

التعليق: أنا وجدت أن الشيخ كان بدأ بالمقارنة حتى يظهر الآن جمال القرآن وعظمة القرآن فيقارن نصوصًا مشابهة فيما بين الشعر والقرآن ليظهر بذلك مزية القرآن وفضيلته.

على سبيل المثال في هذا الذي قال بأنه أمدح

ولستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

قارِن هذا بمثل قوله تعالى ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الجاثية: ١٦]

﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: ٤٧]

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

وأمثالها من الأمور التي ذكر الله فيها مزية وتفضيلا

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣]

فإذا قارن عند ذلك ظهر، لكن إذا لم يقارن يظل الإنسان متمسكًا عند ذلك يظهر ضعف التركيب الشعري والتصوير الشعري مقارنة بالبيان القرآني والتصوير القرآني.

لكن إذا تركه غُفْلا هكذا كما فعل قد يميل بعض الناس إلى الشعر ويراه شيئًا فوق العادة.

الرسالة الشافية (ص: ١٤٤):

«وأما قولهم: "إنه قد يكون أن يسبق الشاعر في المعنى إلى ضرب من اللفظ والنظم، يعلم أنه لا يجيء في ذلك المعنى أبدًا إلى ما هو منحط عنه" فإنه ينبغي أن يقال لهم: قد سلمنا أن الأمر كما قلتم وعلمتم، أفعلمتم شاعرًا أو غير شاعر عمد إلى ما لا يحصى كثرة من المعاني، فتأتى له في جميعها لفظ أو نظم أعيا الناس أن يستطيعوا مثله، أو يجدوه لمن تقدمهم؟ أم ذلك شيء يتفق للشاعر، من كل مئة بيت يقولها، في

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

بيت؟ ولعل [غير] الشاعر على قياس ذلك. وإذا كان لابد من الاعتراف بالثاني من الأمرين، وهو أن لا يكون إلا نادرًا وفي القليل، فقد ثبت إعجاز القرآن بنفس ما راموا به دفعه، من حيث كان النظم الذي لا يقدر على مثله قد جاء منه فيما لا يصحى كثرة من المعاني».

هذا الكلام إنما يحتاج لزيادة وزن وضبط؛ لماذا؟ لأنه يقول "وهو أن لا يكون إلا نادرًا وفي القليل، فقد ثبت إعجاز القرآن بنفس ما راموا به دفعه، من حيث كان النظم الذي لا يقدر على مثله قد جاء منه فيما لا يصحى كثرة من المعاني».

التعليق: هذا يمكن أن نقول أنه صحيح من جهة غير صحيح من جهة أخرى، صحيح من جهة مثلًا أن من أغراض النظم النسيب والتغزل، وقد ورد ما يقابل ذلك في القرآن على أشد ما تكون العفة في اللفظ والبيان.

من أغراض الشعر الهجاء فقد ورد في القرآن شئ هائل جدا يقابل هذا المعنى.

مثل ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١٨]

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]

﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]

وهكذا.

لكن هناك معان ليست مما حفل به الشعراء وإن جاء عند بعضهم شئ يسير، وبعض ما يذكر منحول.

معاني مثل ماذا؟ التوحيد؛ قد يقال مثلًا أن عند أمية بن الصلت أو عند قس بن ساعدة، قد يقال هذا لكن المقصود أن كلا من الذين عندهم هذا المعنى لم يعارضوا القرآن، ويتحدوه، ويظل موضوع معارضة القرآن من عجيب الأمور فإن قريشًا لما اتهمت النبي ﷺ بأنه شاعر، كان يمكن أن يجمعوا الشعراء من أجل أن يصبوا جام غضبهم وقوتهم في معارضة النبي ﷺ فيما أتى به من القرآن ولكن لم يحصل ذلك.
الرسالة الشافية (ص: ١٤٩): «هذا، وفي سياق آية التحدي ما يدل على فساد هذا القول، وذلك أنه لا يقال عن الشيء يُمنَعُه الإنسان بعد القدرة عليه، وبعد أن كان يكثر مثله منه: "إني قد جئتكم بما لا تقدرون على مثله ولو احتشدتم له، ودعونهم الإنسان والجن إلى نصرتكم فيه"، وإنما يقال: "إني أعطيت أن أحول بينكم وبين كلام كنتم تستطيعون وأمنعكم إياه، وأن أُقْحمكم عن القول البليغ، وأعدمكم اللفظ الشريف"، وما شاكل هذا».
التعليق: هذا الاستنباط من أبدع الاستنباط -جزاه الله خيرا-.

@Dr_Almajeedy /AlmajeedyDr
/Quranok Quranok.com

تم بحمد الله

(الرسالة الشافية في وجوه الإعجاز، والقول في الصرفة) للجرجاني

مع تعليقات الأستاذ الدكتور عبد السلام بن مقبل المجيدي

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

هبة محمد